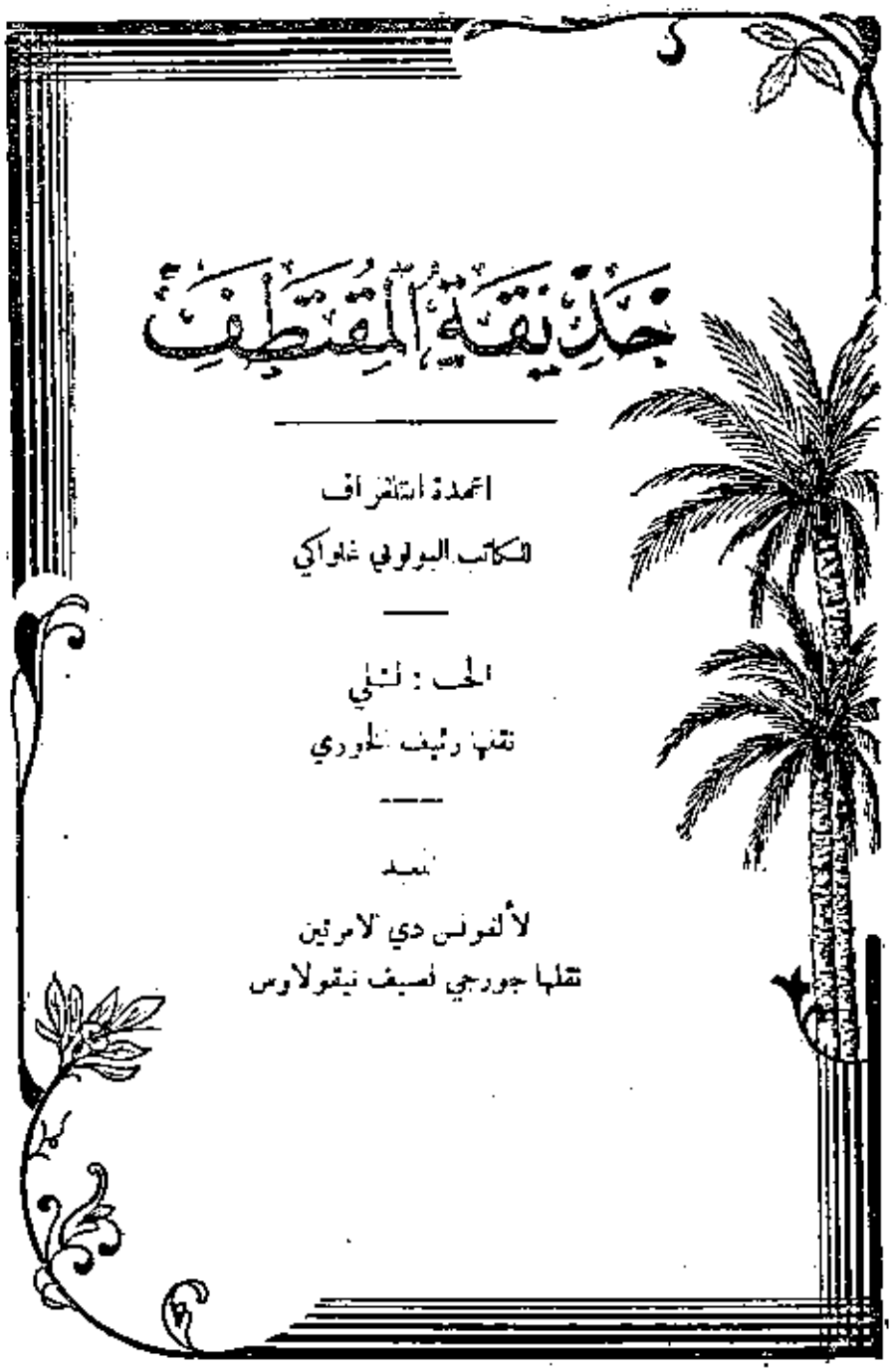

حديقة المقتطف

أعمدة الاستغراق

للكاتب البولوني شلواكي

الحب : لشلي

تعريب رئيف خوري

تنهد

لألفونس دي لامرتين

نقلها جورجي نصيف نيقولاوس

اعمدة التلغراف

للكاتب البولوني غلواكي

زارت احدى الاميرات ملجأً لليتامى . فعرض لها مشهد كان غاية في الندرة والغرابة . فانها رأت اربعة صبيان في عراك شديد آخذاً كل منهم بتلابيب الآخر ، وهم يوسعون بعضهم بعضاً لكماً ولطماً ، نزاعاً على كتاب ممزق بين ايديهم فاستفظعت عملهم هذا وصاحت بهم صيحة الزجر والانتهار قائلة : — علامَ هذا الصراع ايها الاولاد الحمق ؟ فأي عقاب تستحقونهُ عليهِ ان تحرموا نصيبكم من الكعك وتوضعوا ركعاً في الزاوية

فاجابها واحد منهم ، معتذراً عن ذنبه ومشيراً الى صبي آخر :

— انهُ اغتصبني كتاب روبنصن كروزو

فقال ذاك : هذا كذب وبهتان ! انهُ هو الذي اغتصب الكتاب !

وقال صبيٌّ ثالث : لله ما اشد افتراءك ! افلست انت من انتزع الكتاب مني ؟

وكانت ناظرة الملجإ قد بادرت الى تدارك الأمر فوضعت حدّاً لصراعهم ونزاعهم . ثم خلت بالاميرة وقالت لها ان ما شهدتهِ اليوم في الملجإ كثير الحدوث ، مع اتخاذ كل ما يمكن اتخاذه من وسائل المراقبة التامة . وذلك لان الاولاد مولعون بالمطالعة ولعاً يفوق الوصف والملجأ في اشد احتياج الى الكتب

فهاج هذا النبأ في قلب الاميرة شرارة شعور غريب لم يخطر من قبل ببالها . لكنها رأت انّ مواظبتها على الافتكار فيه مجلبة للعناء والقلق فاغفلتهُ وبذلت جهدها في نسيانه الى ان زارت ذات يوم رئيس المستشارين وتناول الحديث بعض الشؤون

الدينية واعمال البرّ والصدقة فتذكرت حادثة ملجإ اليتامى وقصّتها عليهِ واعادت ما قالتهُ لها ناظرة الملجإ

ولما فرغت من كلامها طرأ على المستشار ما كان قد سبق فطرأ عليها من الشعور بأمر غريب غير مألوف . فأعارهُ جانباً من عنايتهِ واهتمامهِ واستصوب ان يبعث ببعض الكتب الى اولئك اليتامى . وتذكّر انهُ كان قد اشترى ، منذ وقت طويل ، طائفة كبيرة من الكتب لاولادهِ وهي الآن مودعة رفارف المكتبة وبعض الصناديق يغشاها الغبار وتعبث بها ايدي الدثور والبلاء . ولكنهُ لم يشأ ان يتحمل عناء البحث عنها ومشقة جمع شتاتها وارسالها الى الملجإ

وفي مساء ذلك اليوم زار المستشار صديقاً له كان عنوان المروءة والاريحية وكانت حياتهُ كلها وقفاً على انشاء الملاجيء والتصدقات ومساعدة لجان البر والاحسان . فروى لهُ ما شاهدتهُ الاميرة في ملجإ اليتامى وما قالتهُ لها ناظرة الملجإ وزاد على ذلك تصريحهُ بعزمهِ على ارسال بعض الكتب ووجوب التعاون على معونة اولئك اليتامى وسدّ عوزهم الادبي . فقال لهُ صديقهُ :

— الخطب سهل الى الغاية ! غداً صباحاً اذهب الى مكتب جريدة « الكوردير » واوجه فيها نداء الى ذوي النجدة ليبادروا الى ارسال الكتب التي يحتاج اولئك اليتامى اليها

وفي صباح اليوم التالي خفّ ذلك الاريحي الى غرفة مدير هذه الجريدة وحدثهُ بما سمعهُ من صديقهِ المستشار والحّ عليهِ باسم الانسانية ان ينشر في جريدتهِ النداء المطلوب

واتفق لحسن الحظ ان الجريدة كانت يومئذٍ في حاجة شديدة الى خبر رائع طريف يستوقف نشره انظار قرائها ويشغل ما كان باقياً فيها من الفراغ . فجلس مخبرها من فوره — وانشأ مقالة رنانة في هذا الموضوع عنوانها : « جوع النفوس : بضعة اولاد : في ملجإ يتامى — يعضّهم ناب الاحتياج الى الكتب — إن شوقهم إليها اعظم من ان يوصف — لا تلسوا نفوسهم الجائعة ! »

وبعد بضعة ايام ذهب المخبر الى مكتب الجريدة ومعهُ واحد من اصدقائه وكان

استاذاً للفلسفة الطبيعية . فلقي عند الباب رجلاً رثّ الملبس وسخ اليدين وبجانبه فتاة صغيرة صفراء الوجه نحيلة الجسم وعليها اطمارٌ بالية تكاد لا تكفي لستر عريها وهي حاملة رزمة كتب قديمة . فسأله المخبر :

— ماذا تريد يا سيدي ؟

فرفع الرجل قبّعتهُ واجاب بخشية واحتشام

— جئنا يا سيدي ببعض الكتب للاولاد ذوي النفوس الجائعة الذين كتبتَ عنهم . وحنت الفتاة الناحلة رأسها وصبغ الحياء محياها المغشى بصفرة فقر الدم. فتناول المخبر الكتب منها وسلمها الى خادم المكتب . وسأل اباها :

— ما اسمك ياسيدي ؟

فاجابهُ بحيرة وارتباك :

— لماذا تروم ياسيدي ان تعرف اسمي ؟

— لابدّ لنا من معرفة اسم المتبرع بهذه الكتب لكي نعلنهُ في الجريدة

— لا ارى اقلّ ضرورة تدعو الى ذلك . فارجو ان تغض النظر عنهُ ولا تعيرهُ شيئاً من الاهتمام . اني رجل بائس ومسكين وواحد من عمال مصنع القبعات . فلست بمستحق ان يعنى بأمري وينوّه باسمي

قال هذا وانطلق ذاهباً بابنتهِ الصغيرة النحيفة

وبعد ذهابهِ التفت المخبر الى صديقهِ الذي كان يقرأ ومسح من كل ما حدث وقال له : — ان وقوع هذه الحادثة في اثناء وجودك معي — وانت استاذ الفلسفة الطبيعية — أخطرَ ببالي فكر المخابرة التلغرافية بطريقة جديدة . فالمكتب الرئيسي لهذا التلغراف كان ملجأ اليتامى . والمكتب الذي تسلمهُ كان العامل في مصنع القبعات. فلما اشار الاول مسترعياً الانتباه لبّاهُ الثاني من فورهِ . وعند ما صرّح ذاك بحاجتهِ بادر هذا الى قضائها . اما نحن الباقين فكنا — جميعاً — اعمدة التلغراف !

الحب : المثل

قالت علام أرى الغدير
أبداً على عجل يسير
موصولة أناته
وشجية نغماته
أفليس يأخذه الملال
أفليس يزحه الكلال ؟

***

فأجبتها لا تذهلي
من سيره المستعجل
النهر صب حائر
نحو البحيرة سائر
اذ يهفوان ويدنوان
وبغبطة يتمازجان

***

قالت واغصان الشجر
تبدو حجاباً للنظر
فعلام تشتبك الغصون
فتصون تجوال العيون
لا الريح تحرفها ولا
تضطرها أن تفصلا ؟

***

فأجبتها لو تعلمين
ما بالغصون من الحنين
لجلست في ظل السكون
تذرين أمواه الشؤون

يا قتلتي إن الغرام
أدّى بها للانضمام

***

قالت ولمْ تبدو النجوم
محرومة فوق الغيوم
للبدر تنظر ساهيه
فتعود عنهُ باكيه
وتصعد الزفرات نار
حتى يوافيها النهار ؟

***

فأجبتها ان النجوم
تطوي النفوس على كلوم
قد أصبحت تهوى القمر
أمسى يبرحها السهر
هي تبتغي منهُ النوال
فيصدها عزّهُ الجمال

***

قالت فان كان الغدير
من فرط صبوته يسير
والغصن برّحه هواه
فأقام ملتزماً اخاه
والنجم برّحه السهر
مذ راح ينظر للقمر
اني لذات حشىً خفق
فلنعتنق .. فلنعتنق...!!!

[نقلها وليف الخوري]

الهيكل

لالفونس دي لامرتين

ما أحيلى ما يبدو للانسان في المساء، عندما يرتفع ببطء، في قبة السماء الكوكب الفرد، متقدماً عقبة الليل الصامتة، وقد تنازع الارض الضياء والظلام،

بل ما احيلى ما يشعر به، عندما ينتقل خطواته المتقدمة، في مستقر الوادي، فيما صوب المعبد الخفي، وقد غطى الطحلب رواقه البسيط، حيث السماء لم تزل بعد، تخاطب القلوب التقية

سلاماً ايتها القبة المقدسة! سلاماً ايتها المفازة الحزينة! انت الامينة على مقابر التربة البسيطة، اني ازورك، حيثما امر بك آثارك الخالية من كل زخرف، والويل لمن تحدثه نفسه، بتدنيس تراب الموتى، فاني لأجثو خاشعاً، تجاه الصابيح التي لا رواء لها، واعفر خدي بتراب، الذي هو اجسادهم الباقية

ما اشد روعة الليل في جوف الهيكل! وما ارهب ذلك السكون الشامل! والعين لا تكاد تميز في الظلام، نور ذلك القنديل المرتعد، المشتعل قبالة المذابح المقدسة، انه يتلألأ وحيداً والخليقة جمعاء نائمة، فهو رمز معبر للعناية الساهرة، تتقبل في هذا المكان، تنهدات الانام وتأوهاتهم

لنتقدم، لا يطرق أذني صوت حي، فالسكوت شامل، والفضاء وحده يرتعد تحت خطواتي الموزونة، فقد تعديت درجات المذبح، وها انا واقف، والمهابة تتملك كل مشاعري، فقد سموت بروحي الى عالم، مشتغلاً عن دنياي بديني، فيا أيتها الحيطان المهيبة في وحشتها، وأيتها الهياكل الناطقة في سكوتها،

اني لَدَيْكِ وحيدٌ منفرد ، ونفسي الحزينة تنشد في تقرُّبها خشيةً ورهبةً ؛ لتسكب أمامك آلامها ، وما تفيض به جوارحها ؛ وتُسِرَّ الى السماء مكنون سرها ، الذي تطّلع عليه وحدها ، ولا يسمعهُ أحدٌ سواكِ

ولكن ماذا ! أأجرؤ على الدنوّ من هذه المذابح دون خوف ولا وَجَل ، أأجرؤ يا الهي ان اتقدّم في هذه الحظيرة المبجّلة ، قلباً ما فتئ مشتملاً بالالم والحب ؟ دون ان تأخذني الرعدة ، ويتملكني الندم ، مخافة ان تنقم جلالتك المقدسة ، للاحترام الواجب لقربك السامي ؟

ولكن لا ، اني لا احرُّ خجلاً من النار التي تتأكّلني ، فالحب يكون طاهراً تقيًّا ، اذا ما اضرمته الفضيلة ، طاهراً كالذات التي تشتهي هواها

ان حبي يشغل فؤادي ، ولكن بنارٍ مقدسة ، فالثبات يدعمه ، والمصائب تتعقّبه من كل شائبة ، فأبوح به للأرض وللطبيعة بأكملها ، وامام هيا كلك المقدسة ، اردّده دون خوف ولا حياء ، واذهب الى ابعد من ذلك فاجترئ أيها الاله القدير ، على ذكره بحضرتك العليّة ، فرغماً عن الرعب الذي يُوحيه اليَّ معبدك ، فقد تمّ في مُحَقّرات اسم مالكة فؤادي ، وهذا الاسم الذي انتقل صداه من قبر الى قبر ، قد عكّر هدوء الفلاة الحزينة ، كأنه انّة شكية لشبح يتأوّه

وداعاً ايتها الآثار البارِدة ، وداعاً ايتها المساكن المقدسة ، لقد ردّد الصدى الليلي الساعات مرتين ، وانا واقف امامك خاشعاً ذاهلاً ، ابكي بعين سَجُوم ، وقلب كليم ، واني أغادرك متأسّياً مُعزّى ، لان السماء رأت عبراتي ، وابصرت ذلي وإهانة نفسي

وقد تكون تلك التي اندب فقدها ، ساهرةً في هذه اللحظة ، على شاطئ آخر ، مع صورتي وقد جثمت على درج هيكل ، والدموع تنهمر من مآقيها ، لتبوح بذات صدرها ، وتُسِرَّ بآلامها وأشجانها

[نقلها جورج نيقولاوس]